

الباب السابع

المعلم

وظيفته :

لم تعد وظيفة المعلم اليوم مقصورة على التعليم ، أى توصيل العلم إلى المتعلم ، كما يظن بعض الناس . ولكن وظيفته تعدت هذه الدائرة المحدودة إلى دائرة التربية . فالمعلم مرب أولاً وقبل كل شيء ، والتعليم بمعناه المحدود جزء من عملية التربية . على أن التعليم بمعناه الحديث قد صار إلى التعلم أى جعل الأطفال

يتعلمون Causing children to learn

ونحن نتنظر من المدرسة الحديثة أن تنمى عند الأطفال ذكاءهم ، وتكون أخلاقهم ، وتكسبهم المهارة فى العمل . وترقى تذوقهم للجمال ، وتصيرهم اجتماعيين . فوظيفة المعلم على هذا هى : تمكين الأطفال من الحصول على المعارف والعادات الصالحة ، والمثل العليا ، وإتقان المهارات ، وتعودهم السلوك الاجتماعى . وبعبارة أخرى : تمكين الأطفال من أن يلائموا بين أنفسهم وبين البيئة التى يعيشون فيها من الناحيتين : المادية والاجتماعية .

وإذا اعتبرنا التربية عملية ملائمة وتوفيق بين الطفل وبين البيئة أدركنا أن وظيفة المعلم — أو المربي — هى مساعدة الطفل على أن يوفق بين نفسه — حاجاته ونموه — وبين البيئة بوضعه فى الوضع المناسب لهذا التوفيق . وكل ما يعمله المعلم ينحصر فى هذه الوظيفة .

وقد عبر أحد المربين^(١) عن وظيفة المعلم بقوله : « إن عملية التربية تقوم بين الفرد وعوالمه الثلاث : عالم الطبيعة ، وعالم المجتمع ، وعالم الأخلاق . وموقف المعلم بين الفرد وعوالمه ، والتفاعل مستمر بين الفرد وهذه العوالم . والمعلم يعين ويشرف ، ويوجه ويرشد ، حتى يسهل هذا التفاعل ويوجهه إلى الهدف المنشود » .

المعلم نائب عن الوالدين وموضع ثقتهما ، لأنهما قد وكلتا إليه أمر تربية ابنهما . فهو إذاً يقوم في المدرسة بوظيفة الوالدين . وهو أيضاً نائب عن المجتمع الذى عهد إليه أن يربي الصغار من أبنائه حتى يصيروا مواطنين صالحين . ومن هذا يمكن تلخيص وظيفة المعلم فى : أنه يقوم مقام الوالدين والمجتمع فى تربية الطفل ، بتوجيه وإرشاده فى جميع نواحي تربيته بحيث يتمكن من الملاءمة والتوفيق بين نفسه وبين بيئته .

الخصائص التى يجب أن تتوافر فيه :

يقف المعلم بين الطفل من ناحية وبين بيئته من ناحية أخرى ، ويقوم بوظيفة إقذار الطفل على التوفيق بين نفسه وهذه البيئة . وإذاً فيجب أن تتوافر فى المعلم خصائص جسمية وعقلية وخلقية تتصل بكل من الطفل والبيئة ، وتمكنه من أداء وظيفته خير أداء . وسنعرض هنا لهذه الخصائص .

الخصائص الجسمية : لا يستطيع المعلم القيام بوظيفته كما ينبغي إلا إذا توفرت فيه الخصائص الجسمية الآتية :

١ - أن يكون سليم الصحة خالياً من الضعف والأمراض . فالمدرس المريض لا يستطيع القيام بوظيفته كما لو كان سليماً . ولا شك أن المرض يصرفه عن أداء واجبه ، ويقوت على التلاميذ كثيراً من الفرص المفيدة فى حياتهم المدرسية .

٢ - أن يكون خالياً من العاهات والعيوب الشائنة ؛ كالصمم والعمى ، وجبسة اللسان أو الثأثة ، لأن هذه العاهات من طبيعتها تجعله يقصر فى وظيفته وتعرضه لسخرية التلاميذ ونقدهم . ومن العيوب الشائنة تقوس الساقين ، واحديداب الظهر وتورم ظاهر فى بعض الغدد .

٣ - أن يكون فياض النشاط . فالمعلم الكسول يهمل عمله ولا يجد من الحيوية ما يحركه للقيام بواجبه . وقد يكون الكسل عادة ، لانتيجة لضعف أو مرض ، وقد يكون مصدر الكسل شيئاً نفسياً . وعلى أية حال فالتلميذ هو الذى يعانى نتيجة هذا الكسل .

٤ - أن يكون حسن الزى ، نظيفاً منظماً . فالمعلم نموذج لتلاميذه . وإهماله زيه يوحى لإلهم بذلك . وقد يجعله موضع سخريتهم وعلم احترامهم له . ويدخل

في حسن الزى اختيار ألوان الثياب ورباط الرقبة ، ووسائل التجميل عند المعلمات . فالمعلمة في مدرسة البنات مثال لتلميذاتها . وهن مغرقات بمحاكاتها

الخصائص العقلية :

المعلمون ، سواء منهم من في المدارس الأولية والرياض ، أو من في المعاهد العالية – يجب أن يكونوا على نصيب من الذكاء . وعلى هذا فالخصائص العقلية المطلوبة هي :

١ – الذكاء . فالمعلم لا بد أن يصل إلى مستوى خاص في التحصيل العلمي وهو مستوى لا يمكن بلوغه في المواد المدرسية المختلفة بدون الذكاء . والمدرس على صلة دائمة بالتلاميذ ومشكلاتهم فلا بد له من التصرف الحكيم والقدرة على حل المشكلات . وأنى يكون له ذلك إذا لم يكن ذكياً ؟

٢ – إلمامه بمادته وبما يجد فيها من نظريات . فضعف المعلم في مادته يجعله يقصر في تحصيل التلاميذ لها ، ويعرضهم للخطأ فيها . ثم إن هذا الضعف يزعزع ثقه التلاميذ فيه ، وقد يصرفهم عنه فيسقط في نظرهم . وأثر ذلك في نفسه ارتباك وشعور بمركب النقص . ويستحيل في مثل هذه الحال أن يقوم المعلم بعمله . وخير للمعلم أن يعترف بأنه يجهل ما يفعل من أن يعطى التلاميذ معلومات خاطئة على أنها صحيحة .

٣ – والإلمام بالمادة لا يكفي ما لم يحط المعلم علماً بنفسية التلاميذ وعقليتهم وميولهم واستعداداتهم ومراحل نموهم . فهو – كما قلنا – موجه مرشد . وهو كالطبيب لا يستطيع وصف الدواء ما لم يعرف حقيقة المرض . ومن أجل هذا جعلت مادة علم النفس أساسية في إعداد المعلم ، وكانت معاهد المعلمين أولى المعاهد التي درست فيها هذه المادة . وما يدخل في علم النفس معرفة المعلم بالفروق بين التلاميذ حتى يعامل كلا بحسب عقليته الخاصة به .

٤ – الإلمام بقواعد التدريس المناسبة للتلميذ وللمادة . فليست معرفة المعلم بالمادة ، وبفسية التلميذ كافية لنجاحه في مهمته ، ولكن لا بد أن يعرف طريقة التطبيق ؛ ولهذه المعرفة أصول وقواعد تدرس في معاهد المعلمين ، ويمرن الطلبة بمقتضاها في المدارس حتى يتعلموا كيفية تطبيقها . وما التمرين في التربية

العملية إلا إعداد للطالب في أول حياته لمهنة التدريس، تحت إشراف الأستاذ وتوجيهه

وهنا يعرض سؤال شائع وهو : هل المعلم مطبوع أو مصنوع ؟ والجواب عن هذا هو أن المعلم كغيره من ذوى المهن لا بد أن يتوافر فيه عنصران : أولهما فطرى والثانى مكتسب . فالعنصر الفطرى هو استعداده لهذه المهنة وتوافر الميل إليها بالفطرة، والعنصر المكتسب هو إعداده وتدريبه لهذه المهنة . وكلاهما ضرورى والعنصر المكتسب أساسه العنصر الفطرى ؛ فكما لا يمكن أن نخلق مهندسا بارعا ممن لا تتوافر فيه بالفطرة المواهب الضرورية لهذه الفطرة، كذلك لا يمكن أن نتوقع مدرسا قديرا ممن لا يوهب استعدادا لهذه المهنة . ورب استعداد لها ميز صاحبه وقاده إلى النجاح بدون أن يتلقى في معهد إعدادا مهنيا . ونحن نعرف أن من فقهاء القرية من كان بصيرا بمهنة التدريس موقفاً فيها بالطبع ، كالفنان أو الشاعر المطبوع ينتج إنتاجاً بديعاً بالرغم من عدم معرفته أصول الفن أو موازين الشعر .

٥- والخاصة السابقة تشير إلى ضرورة أن يكون على استعداد بالطبع وميل لصناعة التدريس . نعم إن الإعداد يبصر بقواعد هذه الصناعة ، وقد يكشف عن هذا الاستعداد ، ولكن ما لم يكن لدى المعلم ميل طبيعى وموهبة فلن يكون معلماً من الطراز الأول .

٦ - أن يكون كثير الاطلاع ميالا لإتماء معارفه ، وكم من معلم يقف بمعلوماته عند المستوى الذى ترك به معهد المعلمين : فيأخذ هذا المستوى فى الهبوط بالتدرج حتى يصير قريبا من مستوى الطفل . ولا يخفى أن هذا النوع من المعلم محدود المعارف ، ضيق الأفق ، عرضة للخطأ إذا سأله أو ناقشه تلميذ ذكى مطلع والمعارف فى تجدد دائم ، وقد تظهر نظريات وآراء لم يتعلمها المدرس أثناء تلمذته فلا ينبغي أن يكون جاهلا بما يجد متخلفاً عن ركب المعارف .

كذلك يجب أن يكون المعلم على صلة بالجديد من الآراء التربوية والسيكولوجية التى تتصل بمهنته حتى يستفيد منها فى صناعة التعليم .

٧ - أن يكون ملماً بعلم الأخلاق^(١) والسياسة ؛ ذلك لأن المدرس يخدم

"The teacher must be a student of Politics, Ethics and Education", by (١)

المجتمع ، ويعد الطفل ليكون عضواً فيه ، ولا يتأني له هذا الإعداد الكامل السليم إلا إذا عرف نظام المجتمع السياسى ومعايره الخلقية ، حتى يراعيها فى تكوين الطفل وتربيته .

الخصائص الخلقية :

والمعلم يعامل - فى مهنته - الصغار من البشر . وهو يكونهم خلقياً ، كما يكونهم جسمياً وعقلياً . وهو المثل الذى يحتذيه الصغار ويتأثرون به . والأخلاق تغرس بطريق غير مباشرة أكثر مما تعلم بطريق التلقين والوعظ . فالمعلم إذاً فى حاجة إلى الصفات الخلقية الطيبة لسببين : أولاً ، لأنه مؤثر فعال فى نفوس الأطفال يتأثرون به ، وثانياً ، لأن مهنة التدريس تحتاج إلى صفات خاصة حتى يصير المعلم ناجحاً فيها . ومن هذه الصفات :

١ - العطف واللين مع التلاميذ : فلا يكون قاسياً عليهم فينفرهم ، ويفقد لجوعهم إليه واستمادتهم منه ، والتفاهم الروحى حوله . ولا يكون عطوفاً لدرجة الضعف فيطمعهم فيه ويفقد احترامهم له ، ومحافظتهم على النظام .

One* of the most important of a teacher's qualifications is sympathetic interest and understanding of children. On the other hand sympathy should not be mawkish.

٢ - الصبر والأناة والتحمل : فالأطفال صغار لا يقدرزون المسئولية . وهم يحتاجون للسياسة والمعالجة . ولا يجدى فهم المعلم لسيكولوجية الأطفال إلا إذا كان صبوراً فى معاملتهم قوى الأمل فى نجاحه فى مهنته . والقلق أو القنوط فى معاملة الأطفال دلائل الإخفاق . ولذلك نجد النساء أصلح فى تعليم الأطفال من الرجال لما يمتزن به من الصبر والجلد ومن اتصافهن بخصائص الأمومة .

٣ - الحزم والكياسة : فلا يكون ضيق الخلق ، قليل التصرف ، سريع الغضب فيفقد بذلك إشرافه على التلاميذ ويفقد احترامهم له . ولذلك يجب ألا يوجه إلى مهنة التدريس من كان ذا مزاج قلق غير مستقر ، ومن يميل إلى الهوج والتسرع .

٤ - أن يكون مخلصاً في عمله ، جادا فيه ، محبا له .
 ٥ - أن يكون طبيعياً في سلوكه مع تلاميذه وزملائه ، غير متكلف ، سواء في حجرة الدراسة أو في ميادين النشاط الأخرى خارجها ، حتى لا تنكشف أخلاقه الحقيقية ويعرف تكلفه. والتلاميذ قد يرون على معرفة حقيقة مدرسيهم مهما أخفاها .

٦ - أن يكون محترماً لدينه وتقاليده القومية ، محتشماً غير مستهتر ؛ لأنه - كما قلنا - نائب عن المجتمع في إعداد الصغار . فلا ينبغي والحال هذه أن يستخف بتقاليد هذا المجتمع ودينه . ولا يمكن أن ينشأ الطفل على احترام تقاليد قومه إلا إذا وجد مدرسه كذلك . نعم للمدرس أن يفكر ، وأن يستخدم عقله ومنطقه في تفهم الدين والتقاليد ، وعليه أن يشرك التلاميذ في هذا التفهم ، ولكن على ألا يكون ساخراً أو مستهتراً بما لم يعجبه أو ما لم يقتنع به .
 ومتى توافرت في المعلم الخصائص الجسمية والعقلية والخلقية السابقة فقد كملت شخصيته .

المعلم مصلح اجتماعي :

لقد مضى العهد الذي كان فيه فقيه القرية هو المعلم ، والطبيب الذي يعالج المرضى بالتمائم والأدعية ، والإمام الذي يصلي بالناس ، والخطيب الذي يعظهم من فوق المنبر ، والمأذون الذي يكتب عقود الزواج ، والمستشار في الملمات ، والأمين على الأسرار ، والرجل الصالح الذي يتبرك به الناس . نعم مضى ذلك العهد ؛ لأن الحضارة البشرية أخذت في التطور نحو التخصص وقيام الفرد بعمل خاص يناسبه ، كما أنها أخذت لزناً علمياً جديداً . فلم يعد الطب هواية كل راغب أو مسألة روحانية تسهل مزاولتها ، بل صار علماً له قواعد وأصول . ولم يعد نظام الزواج من البساطة بحيث يقوم به شخص كعمل إضافي على وظيفته الأصلية . وضارت الإمامة والخطابة من الوظائف التي تحتاج للتخصص والدرس والتفرغ .

ونتيجة هذا كله انصرف المعلم إلى وظيفته فقط ، وحسابه أنها مقصورة على المدرسة . فهو يعلم التلاميذ ويوجههم ما داموا تحت سلطانه داخل جدران

المدرسة ، ولكن هذا الفهم لوظيفة المعلم قد حصرها في أضيق الحدود ، وحرّم المجتمع من كثير من المزايا التي تعود عليه لو اهتم المدرس بإصلاحه .

إن وظيفة المعلم - كما ذكرنا - هي التربية ، والمعلم مرب . والمدرسة جزء من الحياة العامة ، ووظيفتها استمرار لوظيفة المنزل . فلم يعد من الخير إذاً أن يقصر المعلم همه على ناحية التعليم فقط داخل ميدان المدرسة ، بل لا بد له أن يساهم بنصيب اجتماعي في المجتمع الذي به المدرسة قرية كان أم مدينة .

والمعلم من أرقى سكان القرية - أو المدينة - ثقافة ، وأكثرهم بصراً بالأمر . وهو يستطيع الاشتراك في نواحي الإصلاح بالقرية ، ويستطيع التوجيه ، وأن يكون مصدراً للقيادة . فن الإصلاحات التي يمكن أن يقوم بها ما يأتي :

١ - تأسيس بعض الجمعيات الثقافية والتعاونية أو الاشتراك في تأسيسها : كجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية المطالعة والقراءة ، وجمعية المحاضرات ، وجمعية التمثيل الشعبي ، وجمعية التعاون الزراعي ، وجمعية تحسين الصحة إلخ .

٢ - أن يحاضر سكان القرية في الموضوعات التي تهمهم أو التي هم في حاجة إلى الاستشارة فيها : كأن يحاضرهم في شئون دينهم ، أو أمور النظافة والصحة ، أو الأمور الاقتصادية ، أو عند المناسبات الهامة كالمولد النبوي ، والهجرة ، والأعياد إلخ . بقدر ما يستطيع .

٣ - أن يسهل على أولياء الأمور الاتصال بالمدرسة ومعرفة حال التلاميذ ودرجة تقدمهم ، وأن يتصل بأولياء الأمور لمساعدتهم في مشكلاتهم الاجتماعية التي تؤثر في تقدم التلميذ .

٤ - أن يكون رسول خير وسلام بين الأفراد المتخاصمين أو الأسرات ، وأن يصلح بينهم .

٥ - أن يساعد الآباء في توجيه أولادهم الدراسي والمهني بالإيجاف والاقتراح ، وذلك بقدر ما تسمح به ثقافته .

٦ - أن يشعر بما يشعر به سكان القرية من مشكلات ؛ اقتصادية ، أو إدارية ، أو اجتماعية ، ويسعى معهم في حلها .

٧ - أن يكون نموذجاً صالحاً للأخلاق الكريمة ، وأن يتجنب مواطن الشبه .

مراجع الباب السابع

1. Learning and Teaching, by Hughes and Hughes.
2. Talks to Teachers, by William James.
3. Handbook of Vocational Guidance, by Oakley & others.
4. An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, by Heyworth-Dunne.
5. Education, by Campagnac.
6. Principles and Methods of Teaching, by Welton.
7. Towards A. New Education, A Report by the N.F.F.